

السيرة - الشمائل المحمدية ٢٠١٠ - الدرس (٢٠٢) : مقدمة١، صفات النبي وشخصيته، القمح
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٠-٣-٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعود الأمين، اللهم أخرجا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنات القربات.

الفرائض شرط أساسى لسلامة الإنسان وسعادته :

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الثاني من دروس الشمائل النبوية، وتحديثنا في درس سابق عن أن معرفة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم القولية، ومعرفة سنته العملية أي سيرته فرض عين على كل مسلم، انتلاقاً من أنه ما لا يتم الفرض إلا به فهو فرض، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وما لا تتم السنة إلا به فهو سنة، وتوضيحاً لذلك الوضوء فرض لأن الصلاة فرض ولا تتم إلا به، وحينما يقول الله عز وجل:

﴿وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

[سورة الحشر الآية : ٧]

كيف نتأمر بما آتانا وكيف ننتهي مما عنه نهانا إن لم نعرف ما الذي آتانا وما الذي عنه نهانا؟ فإذاً هناك في حياتنا فرائض، هناك واجبات، هناك سنن مؤكدة، هناك سنن غير مؤكدة، هناك مستحبات، هناك مباحات، هناك مكرهات كراهة تزيئية، هناك مكرهات كراهة تحريمية، هناك حرام، أي الفرائض شرط أساسى لسلامتك وسعادتك، والمحرمات تحركك السالمة والسعادة، دفع فرائض، واجبات، سنن مؤكدة، سنن غير مؤكدة، مستحبات، مباحات، مكرهات كراهة تزيئية، مكرهات كراهة تحريمية، ما من حركة، ولا سكنة، ولا نشاط في ليل أو نهار، في أي مكان، في أي زمان، إلا ويغطى بأحد هذه الأحكام الشرعية، ولكن الكمال الذي أراده الله لنا، مكارم الأخلاق التي بها نصل إلى الجنة، حيث ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، هذا الكمال لا يمكن أن يعيش في الكتب فقط، لا بد من أن نراه في إنسان متحرك، كيف أن الكون قرآن صامت، وكيف أن القرآن كون ناطق، إلا أن النبي عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي، هذه الفضائل، هذه القيم، هذه المكارم، العطاء، الكرم، الشجاعة، الحلم، الصبر، هذه الفضائل، لا قيمة لها إطلاقاً إذا بقيت في الكتب.

لذلك قالوا: والشيء بالشيء يذكر، هناك أدب الحياة، وهناك أدب الكتب، أدب الكتب ينبع من الكتب ويصب في الكتب، لكن أدب الحياة ينبع من الحياة، ويصب في الحياة، فلذلك الفضائل التي ينبغي أن نتحلى بها، مكارم الأخلاق التي ينبغي أن ندخلها حينما نلقى الله عز وجل، الكمال الذي يليق بالإنسان، هذه القيم التي جاء بها الأنبياء لا قيمة لها إطلاقاً إذا بقيت في الكتب، لابد أن تكون مماثلة في بشر يتحركون أمامنا، فلذلك تعد مهمة النبي صلى الله عليه وسلم على شقيقين، مهمة التبليغ؛ والتبليغ سهل أي إنسان آتاه الله طلاقة لسان، آتاه الله علمًا، آتاه الله فكراً ثاقباً يبلغ، فإذا صح أن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم الأولى هي التبليغ لكن المهمة الكبرى هي القدوة، أن يكون قدوة لنا.

ذلك أن كل إنسان هناك شخصية يكونها، وهناك شخصية يتمنى أن يكونها، وهناك شخصية يكره أن يكونها، المؤمن الصادق الشخصية التي يتمنى أن يقتفي أثرها، أن يسير على منهجها، أن يتبعها، هي شخصية النبي عليه الصلاة والسلام والدليل:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾

[سورة الأحزاب الآية : ٢١]

لكن في الآية ملمح دقيق إذا كنت ترجو الله، إلهي أنت مقصودي، ورضاك مطلوبني، إذا كنت ترجو الله واليوم الآخر ينبغي أن تكون شخصية النبي عليه الصلاة والسلام هي القدوة والمثل.

معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض عين على كل مسلم :

لذلك بناء على هذه المقدمة لا بد أن تعرف جوانب هذه الشخصية، لا بد من أن تعرف شمائها، لا بد من أن تعرف كمالها، لا بد من أن تعرف خصائصها، لذلك الله عز وجل يقول في محكم كتابه:

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾

[سورة المؤمنون الآية: ٦٩]

يقول الله عز وجل:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مُتَّنِّي وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾

[سورة سباء الآية : ٤٦]

إذاً معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض عين على كل مسلم، لأن كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب ما لم تقم قرينة على خلاف ذلك، وما دام هذا الأمر يقتضي الوجوب من لازم تنفيذه هذا الأمر أن تعرف جوانب هذه الشخصية الفذة الأولى في العالم، ورد في بعض الأحاديث:

((سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تتبغى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا))

[أخرجه مسلم عن ابن عمر]

كما قال النبي عليه الصلاة والسلام، لذلك نقول قبل أن نصلّى: "اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاحة القائمة، آتِ سيدنا محمداً صلّى الله عليه وسلم الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة، وباعثه المقام المحمود"، هذا النبي عليه الصلاة والسلام، هذا القدوة، هذا المثل، هذا المخلوق الأول الذي أقسم الله بحياته، قال تعالى:

﴿لَعَرْكَ إِنَّهُمْ لَفِي سُكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

[سورة الحجر]

إدارة الوقت هو سلوك الأذكياء :

هذا العمر الذي نعيشه، نحن بِضْعَةُ أيام، كلما انقضى يوم انقضى بِضْعُ منه، مرة كنت مديرًا في ثانوية، في محافظة جنوبية، أذكر أنه بعد ثلاثين عاماً كان طالباً من طلابي في الصف العاشر، فإذا به يحتل منصباً رفيعاً دعاني إلى هذه البلدة، قلت: يا رب بين الزيارتتين ثلاثون عاماً، كيف مضت هذه الأعوام الثلاثون؟ كلمح البصر، لذلك قالوا: الدنيا ساعة أجعلها طاعة، والنفس طماعة عودها القناعة، أي الزمن يمضي سريعاً، وأنت بضعة أيام وكلما انقضى يوم من حياتك انقضى بضع منك، مثلًا إنسان يملك سبعين ليرة كلما أتفق ليرة نقص ماله، فأنت لك عند الله عمر ثابت، انظر إلى عقرب الثواني كل حركة تشير إلى ثانية، معنى ذلك أن العمر قد قُلل ثانية، أنا لا أرى أن هناك عمل أليق بالمؤمن، ولا أكمل، من أن يدير وقته، وقت لمعرفة الله، وقت للتفكير في خلق السموات والأرض، وقت لأداء العبادات، وقت للجلوس مع الأهل، وقت لتعليم الأولاد، وقت لوصل أخوانك الكرام، وقت للعمل، وقت للصلوة، إدارة الوقت هو سلوك الأذكياء، النبي عليه الصلاة والسلام في أحاديث كثيرة قال:

((اغْتَمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمَكَ، وَصَحَّتَكَ قَبْلَ سَقْمَكَ، وَغَنَّاكَ قَبْلَ فَقْرَكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شَغْلِكَ، وَحَيَاكَ قَبْلَ مَوْتَكَ))

[أخرجه الحكم والبيهقي عن ابن عباس وأحمد بن عمرو بن ميمون]

النبي عليه الصلاة والسلام كان المخلوق الأول في إدارة الوقت :

أيها الأخوة الكرام، إدارة الوقت شيء رائع، لأن الله عز وجل أقسم بعمر النبي عليه الصلاة والسلام، لأنه كان المخلوق الأول في إدارة الوقت.

((أكثروا من ذكر هادم اللذات - مفرق الأحباب - مشتت الجماعات))

[أخرجه الترمذى والنسائى عن أبي هريرة]

((عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارق، واعمل ما شئت فإنك مجزي به))

[أخرجه الشيرازي عن سهل بن سعد و البيهقي عن جابر]

آية أخرى:

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾

[سورة المؤمنون الآية: ٦٩]

ينبغي أن نعرفه، لذلك قالوا: مستحيل وألف ألف مستحيل أن تعرفه ثم لا تحبه، بل مستحيل وألف ألف مستحيل أن تحبه ثم لا تطيعه، وقد ورد في صفات النبي عليه الصلاة والسلام أنه من رآه بديهة هابه، ومن عامله أحبه، هل أنت كذلك؟ لك هيبة لكن إذا احتك بك الناس أحبوك؟ إذا احتك بك الناس هاموا بك؟ حينما يقول الله عز وجل:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾

[سورة الحجرات الآية: ١٥]

هناك أمر إلهي أن تؤمن بهذا الرسول، مرة قال النبي عليه الصلاة والسلام، قبيل معركة بدر: لا تقتلوا عمي العباس، رجل حول النبي عليه الصلاة والسلام، قال: أحدها يقتل أبيه وأخاه في المعركة، وينهانا عن قتل عمه! لم يفهم هذا التوجيه، ثم تبين بعد حين أن عمه قد أسلم وهو هناك، وهو عينه في قريش، وكانت إدارة النبي عليه الصلاة والسلام في أعلى مستوى، فكل قرار تتخذه قريش يكون عند النبي عليه الصلاة والسلام، يقول هذا الرجل الصحابي: ظلت أتصدق عشر سنين رجاء أن يغفر الله لي سوء ظني برسول الله.

توضيح النبي عليه الصلاة والسلام ووفاؤه :

مقام النبوة، سيدنا عمر دخل على سيدنا رسول الله، وقد اضطجع على حصير، وأثر الحصير على جنبيه الشريف، أو على خده، فبكى عمر، قال : يا عمر ماذا يبكيك؟ قال: رسول الله ينام على الحصير وكسرى ملك الفرس ينام على الحرير، قال: "يا عمر إنما هي نبوة وليس ملكاً، أنا لست ملكاً، إنما هي نبوة وليس ملكاً".

((هون عليك فإني ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة))

[ابن ماجه عن أبي مسعود]

تواضعه عجيب، كان النبي عليه الصلاة والسلام في سفر وأرادوا أن يعالجوه شامة، فقال أحدهم: عليّ ذبحها يا رسول الله، فقال الثاني : وعلىّ سلخها، وقال الثالث : علىّ طبخها، فقال عليه الصلاة والسلام : وعلىّ جمع الحطب، فقالوا: نكفيك ذلك يا رسول الله، قال: أعلم أنكم تكفووني، ولكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على أقرانه.

والله أيها الأخوة بذكر محمد صلى الله عليه وسلم تتعرّض المجالس، كان إذا دعاه أترابه إلى اللعب يقول: أنا لم أخلق لهذا.

وحيثما جاءته رسالة الهدى، دعته زوجته لأخذ قسط من الراحة قال: يا خديجة انقضى عهد النوم.

لما فتح مكة ودعاه سادتها لبيت عندهم، فقال لهم: انصبووا لي خيمة عند بيت خديجة، ليعلم العالم كله أن هذه المرأة التي في القبر هي شريكته في النصر.

ما هذا الوفاء! معه زوجة شابة في ريعان الشباب، فضجرت من كثرة ذكره لخديجة، خديجة في سن أمه عندما تزوجها كانت في سن الأربعين، هو في الخامسة والعشرين، وعنه فتاة في ريعان الشباب قالت له مرة: ألم يبذل الله خيراً منها؟ قال: لا والله لا والله ما هذا الوفاء؟ عندما فتح مكة، من في مكة؟ مكة التي أخرجته، مكة التي ائمرت على قتله، مكة التي نكلت بأصحابه، مكة التي حاربته ثلاثة حروب، بدر، وأحد، والخندق، مكة التي تقنت بقتل أصحابه، ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: فاذهباو فأنتم الطفقاء. هذا العفو، يوم دانت له الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها، صعد المنبر واستقبل الناس باكياً وقال: من كنت أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه، ومن كنت جلت له ظهراً فهذا ظهري فليقتد منه، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي، ولا يخشى الشحناه، فإنها ليست من شأنى، ولا من طبيعتي.

معرفة شمائـلـ النـبـيـ فـرـضـ عـيـنـ عـلـىـ كـلـ مـسـلـمـ لـأـهـ قـدـوـةـ لـنـاـ :

هذا الإنسان العظيم، هذا الذي بلغ سدة المنشئ، هذا هو المخلوق الأول، هذا سيد الأنبياء والمرسلين، هذا سيد ولد آدم، أيعقل أن لا نعرفه؟ أيعقل أن لا ندرس شمائـلـهـ، كـمـالـاتـهـ، صـدـقـوـاـ ولا يـبـلـغـ إنـ مـعـرـفـةـ شـمـائـلـ النـبـيـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ، فـرـضـ عـيـنـ عـلـىـ كـلـ مـسـلـمـ، لـأـهـ قـدـوـةـ لـنـاـ والدليل:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

[سورة الأحزاب الآية : ٢١]

أـدـلـةـ عـلـىـ ضـرـورـةـ مـعـرـفـةـ شـمـائـلـ النـبـيـ :

أيها الأخوة، من الأدلة على ضرورة معرفة شمائـلـ النـبـيـ قول الله عز وجل:

﴿وَكُلَّا نَصْصٌ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرَّسُولِ مَا نُثِبَتْ بِهِ فُؤَادُكَ﴾

[سورة هود الآية : ١٢٠]

إذا كان قلب سيد الخلق وحبيب الحق يزداد يقيناً بسماع قصة نبي دونه فلأن يمتلك قلباً إيماناً وتتألقاً بمعرفة سيرة سيد الأنبياء من باب أولى، هناك آية حينما تقرأها لا شك أنه يشعر بذلك:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيهِمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾

[سورة الحجرات الآية : ٧]

هو فيينا، هو معنا، سنته بين أيدينا، أحاديثه بين أيدينا، موافقه بين أيدينا، سيرته بين أيدينا، كـمـالـاتـهـ بينـ أيـديـناـ:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾

[سورة الحجرات الآية : ٧]

أُمِيَّةُ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ وَسَامُ شَرْفِهِ وَأُمِيَّتَا وَصَمَّةُ عَارٍ بِحَقْنَا :

أَيُّهَا الْأَخْوَةُ، النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أُمِيَّ، أُمِيَّتِهِ وَسَامُ شَرْفِهِ لِهِ، لَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَ مَا أَرَادَ مِنْ وَعَائِهِ التَّقَافِيِّ أَنْ يَمْتَنِيَّ مِنْ تَقَافَاتِ الْأَرْضِ، أَرَادَ أَنْ يَكُونَ وَعَاؤُهُ التَّقَافِيُّ خَالِيًّا مِنْ كُلِّ تَقَافَةٍ أَرْضِيَّةٍ، وَأَنْ يَمْتَنِيَّ بِوَحْيِ السَّمَاءِ، لِذَلِكَ:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾

[سورة النجم الآيات : ٤-٣]

﴿عَلِمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مَرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾

[سورة النجم الآيات : ٥-٦]

لِذَلِكَ أُمِيَّتِهِ وَسَامُ شَرْفِهِ، وَأُمِيَّتَا وَصَمَّةُ عَارٍ، لِأَنَّنَا نَحْنُ يَنْطَبِقُ عَلَيْنَا الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ:

((إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْتَّعْلِمِ، وَإِنَّمَا الْحَلْمُ بِالْتَّحْلِمِ، وَإِنَّمَا الْكَرْمُ بِالْتَّكْرِمِ))

[أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ عَنْ أَبِي الدَّرَداءِ]

اللَّهُ تَعَالَى شَرَفُ الْإِنْسَانِ وَكَرْمُهُ وَأَحْسَنُ إِلَيْهِ حِينَما سَمِحَ لَهُ أَنْ يَعْبُدَهُ :

شَيْءٌ آخَرُ، أَنَا أَقُولُ لَكُمْ دَائِمًاً: لَوْ أَنْ طَفْلًا عَقْبُ الْعِيدِ زَارَهُ أَحَدُ أَقْرَبَائِهِ، فَهُذَا الطَّفَلُ مَمْتَنِي فَرْحًا، بِمَبْلَغٍ مِنَ الْمَالِ حَصَّلَهُ فِي أَثْنَاءِ الْعِيدِ، قَالَ لِهُذَا الْقَرِيبِ الزَّائِرِ: مَعِي مَبْلَغٌ عَظِيمٌ، كَمْ نَقْرَبَهُ؟ نَقْرَبَهُ بِحَسْبِ الْقَاتِلِ، طَفَلٌ صَغِيرٌ، فِي الصَّفِّ الْخَامِسِ، أَبُوهُ مَهْنَدِسٌ، دَخْلُهُ وَسْطٌ، لَهُ بَعْضُ الْأَقْرَبِ، فَإِذَا قَالَ الطَّفَلُ: مَعِي مَبْلَغٌ عَظِيمٌ أَيُّهُو لِيَرِهُ خَمْسَمِائَةٌ لِيَرَهُ، دَقَّ إِذَا قَالَ مَسْؤُلُ الْبَنِتَاغُونَ: أَعْدَدْنَا لَهُذَا الْحَرْبِ مَبْلَغًا عَظِيمًا، نَقْرَبَهُ بِمَئَتِي مِلْيَارٍ دُولَارٍ، نَفْسُ الْكَلْمَةِ قَالَهَا طَفَلٌ فَقْدَرَنَا هَا بِخَمْسَمِائَةٍ لِيَرَهُ، وَقَالَهَا مَسْؤُلُ الْبَنِتَاغُونَ فَقْدَرَنَا هَا بِمَئَتِي مِلْيَارٍ دُولَارٍ، فَإِذَا قَالَ مَلِكُ الْمُلُوكِ :

﴿وَعَلِمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾

[سورة النساء الآية : ١١٣]

وَاللَّهُ أَيُّهَا الْأَخْوَةُ سَافَرَتْ شَرْقًا وَغَرْبًا، أَنَّاسٌ فِي الْيَابَانِ يَعْبُدُونَ ذَكْرَ الرَّجُلِ، وَفِي الْهَنْدِ يَعْبُدُونَ الْجَرْذَانِ، وَفِي مَكَانٍ يَعْبُدُونَ الشَّمْسَ، وَفِي مَكَانٍ يَعْبُدُونَ الْقَمَرَ، وَفِي مَكَانٍ يَعْبُدُونَ الْحَجَرَ، وَفِي مَكَانٍ يَعْبُدُونَ النَّارَ، وَفِي مَكَانٍ يَعْبُدُونَ مَوْجَ الْبَحْرِ، اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ شَرِفَنَا، وَكَرْمَنَا، وَأَحْسَنَ إِلَيْنَا، حِينَما سَمِحَ لَنَا أَنْ نَعْبُدَهُ، نَحْنُ نَعْبُدُ الْوَاحِدَ الْدِيَانَ، نَعْبُدُ خَالِقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، نَعْبُدُ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ، الْآنَ هُلْ مِنَ الْمُمْكِنُ أَنْ نَضْغُطَ الدِّينَ كُلَّهُ بِكَلْمَاتٍ؟ قَالَ تَعَالَى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْكُمْ يُوحَى إِلَيَّ إِنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ (١١٠)﴾

[سورة الكهف الآية : ١١٠]

الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخالق :

الآن دنق:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

[سورة الكهف الآية : ١١٠]

أردت أن تقيم علاقة مع الله، أردت أن تحكم الصلة بينك وبين الله،

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا﴾

أوضح مثل مجد غر أقل رتبة في الجيش، وأعلى رتبة عماد أركان حرب، بينهما عشرات الرتب، سبعة ، وسبعين، عريف أول، و ثمانية، وثمانين، ونجمة، ونجمتان، و تاج ونجستان، ثم عماد، هذا المجد الغر الذي التحق منذ التطوع بإمكانه أن يدخل على العماد من دون إذن؟ إلا حالة واحدة، إن رأى ابن هذا العماد يسبح فكاد يغرق، فألقى بنفسه وأنقذه، يدخل بلا إذن، وهذا العماد أركان حرب يقابلها فوراً، ويحترمه، ويضعه جانبها، ويضيفه، أليس كذلك؟

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا﴾

اعمل عملاً صالحًا مع هرة، مع حيوان، مع صغير، مع يتيم، مع جائع، مع مضطهد، مع مظلوم، والله الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخالق، ضمن البيت هناك طرق إلى الله سالكة، وأنت في الطريق هناك طرق إلى الله، وأنت في المسجد، وأنت في العمل.

لذلك أيها الأخوة هذا هو الدرس الثاني التمهيدي من شمائل النبي عليه الصلاة والسلام، وسوف إن شاء الله نقف ملياً عند هذه الشمائل، فعلل الله عز وجل يرفعنا بها.

الإعجاز العلمي :

القمح :

واليآن ننتقل إلى القسم الثاني من الدرس وهي الفقرة العلمية، أحياناً أقرأ هذه الآية، فأحس أن لها أبعاداً كثيرة، هذه الآية:

﴿وَلَا أَمْرَتُهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾

[سورة النساء الآية : ١١٩]

كيف؟ الله عز وجل خلق القمح، نحن ننزع قشره ونأكل نشاء ليس غير، أحياناً أقف معكم قليلاً عند المواد الخطيرة، والنافعة، والمفيدة، التي تتطوي عليها قشرة هذه الحبة، قال: هذه الحبة جعلها الله غذاء كاملاً، فيها غلاف خارجي يزن تسعاً في المئة من مجموع وزنها، يُسمى عند الناس النخالة، وفيها قشرة رقيقة تتطوي على مادة آزوتية لا تزيد عن ثلاثة في المئة من وزنها،

وفيها الرّئيْسِيُّمُ الْكَائِنُ الْحَيُّ الَّذِي يَبْنِيْتُ إِذَا تَوَافَرَتْ لَهُ شُرُوطُ الْإِنْبَاتِ، وَوْزُنُهُ لَا يَزِيدُ عَلَى أَرْبِعِ فِي الْمِائَةِ مِنْ وْزْنِ حَبَّةِ الْقَمْحِ.

إِذَا جَمَعْنَا تِسْعَةً وَثَلَاثَةً وَأَرْبَعَةً أَيْ سَتَةَ عَشَرَ، بَقِيَ أَرْبَعًا وَثَمَانِينَ فِي الْمِائَةِ نَشَاءُ خَالصُّ، لَكُنْهَا بِيَضَاءٍ ، أَمَّا الْخَبْرُ مَعْ قَشْرِهِ أَسْمَرُ الْلَّوْنِ، كُلُّ الْخَيْرِ، كُلُّ الْفَوَادِ، كُلُّ الْفِيَتَامِينَاتِ، كُلُّ الْمَعَادِنِ، كُلُّ الْمَوَادِ التَّمِيْنَةِ فِي قَشْرِهِ الْقَمْحِ، نَنْزَعُهَا وَنَطْعُمُهَا لِلدوَابِ وَنَأْكُلُ النَّشَاءَ الْخَالصُّ، أَمَّا هَذَا الْمَوَادُ الْمُتَمَيِّزَةُ فِي قَشْرِهِ الْقَمْحِ، فَهُوَ أَسْمَرُ الْلَّوْنِ، كُلُّ الْخَيْرِ، كُلُّ الْفَوَادِ، كُلُّ الْفِيَتَامِينَاتِ، كُلُّ الْمَعَادِنِ، كُلُّ الْمَوَادِ التَّمِيْنَةِ فِي قَشْرِهِ الْقَمْحِ، نَنْزَعُهَا وَنَطْعُمُهَا لِلدوَابِ وَنَأْكُلُ النَّشَاءَ الْخَالصُّ، أَمَّا هَذَا الْغَلَافُ الَّذِي يَسْمِيْهُ النَّاسُ نُخَالَّةً، فَفِيهِ سَتُّ فِيَتَامِينَ ب١، ب٢ ب٦...، وَفِي هَذَا الْغَلَافِ مَادَّةٌ فَسْفُورِيَّةٌ هِيَ غَذَاءٌ لِلْدَمَاغِ نَطْعُمُهَا نَحْنُ لِلدوَابِ، وَفِي هَذَا الْغَلَافِ حَدِيدٌ يَهْبِطُ الدَّمَ قَوْةً وَحِيَوِيَّةً، وَيُعِيْنُ عَلَى اِكتِسَابِ الْأُوكْسِجِينِ مِنَ الرَّئَتَيْنِ، وَفِي هَذَا الْغَلَافِ الْكَالْسِيُومُ الَّذِي يَبْنِيُ الْعَظَامَ، وَيَقوِيُّ الْأَسْنَانَ، وَفِي هَذَا الْغَلَافِ السِّيلِكُونُ الَّذِي يَقوِيُّ الشَّعَرَ وَيَزِيدُ قَوْةً وَلِمَعَانًا، وَفِي هَذَا الْغَلَافِ الْيَوْدُ الَّذِي يَنْشَطُ عَلَى الْغَدَةِ الدَّرَقِيَّةِ، وَيُضَفِّيُّ عَلَى آكِلِهِ السَّكِينَةَ وَالْهَدَوءَ، الْيَوْدُ لَهُ مَفْعُولُ الْمَسْكَنِ، وَفِيهِ الْبُوتَاسِيُومُ، وَالصُّودِيُومُ، وَالْمَغْنِيَزِيُومُ، تَدْخُلُ هَذِهِ الْمَعَادِنُ كُلُّهَا فِي قَشْرِهِ الْقَمْحِ الَّذِي نَطْعُمُهَا لِلدوَابِ.

أَيْهَا الْأَخْوَةُ، أَمَّا نَحْنُ نَأْكُلُ النَّشَاءَ الصَّافِيَ الَّذِي كَمَا وَصَفَهُ بَعْضُ الْأَطْبَاءِ غَرَاءً جَيْدًّا لِلْمَعْدَةِ، أَئْتَ بِلَبِ الْخَبْرِ الْأَبْيَضِ اِضْغَطَهُ ثُمَّ ضَعَهُ فِي كَأسِ مَاءٍ لَا يَنْحُلُ أَبْدًا، لَأَنَّهُ غَرَاءً.

فوائد قشرة القمح :

لَكُنَ الْإِبْدَاعُ الْإِلَهِيُّ فِي خَلْقِ هَذِهِ الْقَشْرَةِ بِمَا فِيهَا مِنْ فَوَادِنَ هُوَ مِنْ أَجْلِ أَنْ نَأْكُلَ الْقَمْحَ بِقَشْرِهِ، حَتَّى نَسْتَقِيَّدَ مِنْ هَذِهِ الْمَوَادِ الَّتِي أَوْدَعَهَا اللَّهُ فِي قَشْرَةِ الْقَمْحِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ كُلَّ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي تَعَالَى الْإِمْسَاكُ وَالْإِمْسَاكُ يَنْتَجُ عَنْهُ خَمْسِينَ مَرْضًا، كُلُّ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي تَعَالَى الْإِمْسَاكُ هَذِهِ الْأَدْوِيَةُ مُوجَودَةٌ فِي قَشْرَةِ الْقَمْحِ، لَا يَوْجُدُ إِنْسَانٌ يَأْكُلُ خَبْرًا مَعَ نَخَالَتِهِ مَعَهُ إِمْسَاكًا، أَيْ أَكْبَرُ مَادَّةٍ فَعَالَةٌ فِي تَتْبِيُّعِ الْأَمْعَاءِ النَّخَالَةِ، لَذَلِكَ جَمِيعُ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي تَعِينُ عَلَى الْهَضْمِ مَا خُوْذَةٌ مِنْ قَشْرِ الْقَمْحِ. إِذَا غَلَبَتْ هَذِهِ الْقَشْوَرُ بِالْمَاءِ السَّاخِنِ كَانَتْ مَهْدَيَّةً لِلسعَالِ وَالزَّكَامِ، وَإِذَا شُرِبَ هَذِهِ الْمَغْلِيُّ كَانَ قَابِضًا لِلْأَمْعَاءِ، وَكَانَ دَوَاءً لِتَقْرُّحَاتِ الْمَعْدَةِ وَلِلزَّحَارِ، وَهُوَ غَذَاءُ لِلْجَلْدِ وَوَقَايَةُ لَهُ مِنْ أَمْرَاضِهِ، وَعَلَى رَأْسِهِ هُوَ أَمْرَاضُ الْأَكْزِيَّمَا .

وَقَايَةُ لِلْجَلْدِ مِنَ الْأَمْرَاضِ، قَابِضٌ لِلْأَمْعَاءِ، دَوَاءُ لِتَقْرُّحَاتِ الْمَعْدَةِ، وَلِلزَّحَارِ، مَهْدَيٌ لِلسعَالِ وَالزَّكَامِ، لَذَلِكَ حِينَ نَأْكُلُ كَمَا أَرَادَ اللَّهُ لَنَا أَنْ نَأْكُلَ، وَحِينَ نَطْبِقُ سُنَّةَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْأَكْلِ، نَضْمَنُ لِأَنفُسِنَا الصَّحَّةَ وَالبُعْدَ عَنِ الْأَمْرَاضِ .

() سُئِلَ الصَّاحِبِيُّ الْجَلِيلَ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ : " هَلْ رَأَيْتَ النَّقِّيَّ - الطَّحِينَ الْمَنْخُولَ - قَالَ : مَا رَأَيْتُ النَّقِّيَّ حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ : فَهُلْ كَانَ لَهُمْ مَنَاخِلٌ عَلَى عَهْدِ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَا رَأَيْتُ مُنْخَلًا حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ : فَكَيْفَ كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ الشَّعِيرَ غَيْرَ مُنْخُولٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، كُنَّا نَنْفُخُهُ فَيَطِيرُ مِنْهُ مَا طَارَ وَمَا بَقَىَ ثَرِيَّاهُ ")

[ابن ماجه عن عبد العزير بن أبي حازم]

وورد في الأثر أن أول بدعة ابتدعها المسلمون بعد وفاة رسول الله نخل الدقيق.

والحمد لله رب العالمين